ما يستدرك على كتب النحو عند القدامى: عرض وتحليل

Complementing the contents of Arabic Grammar Books: delivering and analysis

Menyempurnakan kandungan buku-buku Tatabahasa Arab

حنفي حاج دولة*
عادل علي سالم**

ملخص البحث

يقدم هذا البحث للقارئ ظواهر نحوية لم ترد في كتب النحاة، وهذا يقودنا إلى القول إن الدرس النحوي قد لازمه شيء من القصور العلمي الذي يوجب علينا نحن – الباحثين – الإشارة إليه، وإخراجه للقارئ وإضافته إلى قواعد النحو، وأن نتدارك بها ما فات أسلافنا من العلماء الذين رسموا لنا سبيل المحافظة على لغتنا العربية، وصونها من الخطأ واللحن؛ حيث تمثلت في وضع قواعد وأسس تقوم عليها تلك المحافظة، وذلك بالرجوع إلى فصيح الكلام من الشعر والنثر اللذين يُعدان منبع الفصاحة، والقياس عليهما، وقد قام هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي. توصلت الدراسة إلى أن استقراء اللغة لم يكن استقراءً كاملاً، وأن قواعد النحو لم تتوقف عند الذي قرره النحاة في باب المفعول لأجله وأسلوب الشرط، وأسلوب النداء، وأن القرآن الكريم هو منبع الفصاحة والتعبير، فأسلوب الشرط الذي ورد في تلك الصورة الجميلة، وأن القياس على ما ورد من شواهد قرآنية وشعرية في هذه الظاهر اللغوية جائز؛ لوروده كما رأينا.

---

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
** طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
أرسل البحث بتاريخ: ٢٠١٨/٢/٢٢م، وقبل بتاريخ: ٢٠١٨/٧/٣م.

الكلمات المفتاحية: المفعول لأجله–الجملة–الشرط–النداء–الحذف.

Abstract

This study presents to the reader grammatical phenomena which is not found in the grammarian's books. This leads us to say that the grammatical studies were characterized by scientific limitations, that need to be pointed out by subsequent studies; to make it accessible the readers and use it to amend existing grammar rules. This is in order to compliment what was being left out by the earlier grammarians to enable us to preserve our Arabic language and from error through referring to the prose and poem as the sources for establishing it. The study is based on two approaches, namely the inductive and the analytical approach. The study concludes that grammatical rules were not thoroughly induced in the efforts of earlier grammarians. Thus grammatical rules do not cease to be formulated exclusively based on their efforts as in the topics of *maf'ūl li ajlihī, uslūb al-syarṭ, uslūb al-nidā'*; that the Holy Quran is the source of eloquence and expression. Therefore, the uslūb al-syarṭ that is found in that beautiful description; that using analogy on the Quranic and poetical language evidences in these linguistic features is permissible since they indeed contain those features in question.

Keywords: *Maf'ūl li ajlihī, al-syarṭ, al-jumlah, al-nidā'*, omission

Abstrak

Kajian ini memaparkan kepada pembaca fenomena tatabahasa yang tidak didapati dalam buku-buku tatabahasa Arab. Ini menyebabkan kita berpendapat bahawa kajian tatabahasa tersebut kadang-kadang terbatas kajiannya yang perlu ditonjolkan melalui kajian selepasnya untuk dimanfaatkan para pembaca dan menyempurnakan lagi kaedah-kaedah tatabahasa. Ini adalah bertujuan untuk melengka perkara yang masih belum diperhalusi para cendiakawan terdahulu untuk memperbolehkan kita terus memelihari bahasa Arab daripada kesalahan dengan menjadikan sumber prosa dan syair sebagai sandaran. Kajian ini adalah berteraskan kepada dua pendekatan iaitu induktif dan analitikal. Kajian ini merumuskan yang kaedah-kaedah tatabahasa bukanlah semuanya telah dirumuskan oleh sarjana tatabahasa terdahulu, oleh itu, kaedah-kaedah tatabahasa seperti *maf'ūl li ajlihī, uslūb al-syarṭ, uslūb al-nidā'* masih lagi ada yang belum dimuktamadkan; Al-Quran adalah merupakan sumber kefasihan bahasa Arab; penggunaan Al-Quran dan syair sebagai bukti bahasa adalah dibolehkan kerana ia mengandungi penggunaan-penggunaan yang berkenaan.

Kata kunci: *Maf'ūl li ajlihī, al-syarṭ, al-jumlah, al-nidā', hazaf*

مقدمة:

هذا البحث يحاول إضافة شيئاً جديداً للتراث النحوي الذي خلَّفه لنا علماؤنا؛ ليصير الدرس النحوي أكثر تماسكاً في مواضيعه؛ وليُتِيحَ لنا القياس على ما ورد فيه من الفصيح، فقد ورد في كتب النحو أن صور المفعول لأجله المنوَّن، والمضاف، والمقترن به (أل)، وقد ذكروا ذلك التقسيم؛ لبيان حكم نصبه،[١] وأما حكم تعدده فلم يرد عنهم ذلك،[٢] بيد أن الأستاذ عباس حسن، منع تعدده منصوباً أو مجروراً؛ ولكنه أجاز تعدده بالعطف أو بالبدل.[٣]

وأما أسلوب الشرط فقد ذكره ابن مالك في باب جوازم المضارع التي تجزم فعلين وتدل على الشرط، وأما الأستاذ عباس حسن، فسار على منهج ابن مالك، فأورد هذا الأسلوب في كلامه عن الأسماء والأدوات الجازمة وغير الجازمة.[٤]

وأما في باب النداء، فقد ذكر ابن مالك فيه حذف أداة النداء فقط،[٥] وأما المحدثون، فقد أشاروا إلى حذف حرف النداء، وحذف المنادى،[٦] دون الإشارة إلى جواز حذفهما معاً.

وأما الإضافة، فتتمثل في أنواع المفعول لأجله وتعدده، حيث إنه يأتي مفرداً، وجملةً، وشبه جملة، شأنه في ذلك شأن الخبر والحال والنعت، وقد ورد ذلك كله في الفصيح بالشروط التي نصَّ عليها النحاة لنصبه وهي المصدرية، واتحاد الفاعل والزمن.[٧]

وأما أسلوبُ الشرط، فسيأتي في حُلَّةٍ جديدةٍ؛ لأن هذا الأسلوب يختلف كل الاختلاف عن الشرط الوارد في كتب النحاة من حيث الأدوات ومن حيث الترتيب بين الجملتين.

وأما الإضافة في باب النداء فتتمثل في حذف أداة النداء والمنادى معاً، وبقاء جملة النداء، وهو ما لم يُشر إليه النحاة، وكل ما يخص هذه الظواهر اللغوية سيأتي مدعماً بالشواهد الشعرية والقرآن الكريم إن شاء الله تعالى.

أولاً: المفعول لأجله

يأتي المفعول لأجله جملةً وشبة جملة كالخبر والحال والنعت؛ غيرَ أن ابن مالك وابن عقيل وابن هشام ذكروا أحواله من حيث التعريف والتنكير؛ لبيان حكم نصبه،[٨] وسار على نهجهما المحدثون في ذكر أنواعه وهي النكرة والمعرف بأل والمضاف.[٩]

وقد ورد في الفصيح المفعول لأجله جملةً اسمية وجملةً فعلية وشبه جملة، وهذان القسمان يمكن إدراجهما تحت قسم جديد هو (باعتبار اللفظ)، ويشترط في وقوعهما في موضع نصب مفعول لأجله ما يُشترط في المفعول لأجله المفرد وهو التعليل، واتحاد الفاعل، والزمن، والدلالة على المصدرية.

١. الجملة الاسمية:

وقعت الجملة الاسمية مفعولاً لأجله في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [١٠]

فالجملة من الحرف الناسخ ومعموليه في محل نصب مفعولٍ لأجله؛ لأنها قامت مقام المصدر المبيّن لِعِلَّة ما قبله، وقد توفرت فيها الشروط السابق ذكرُها، فالخوفُ هو عِلَّة اتباع ما يُوحى إلى رسول الله وفاعل الاتباع والخوف هو رسول الله وزمنهما واحد، والجملة تدل على المصدر أي (خوفي إن عصيتُ ربي عذاب يومٍ عظيم).

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾،[١١] فجملة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ في موضع نصب على التعليل، فالخوف من الله هو سبب عدم مَدِّ يده لقتل أخيه، وفاعل الخوف هو فاعل عدم بسط اليد، وزمن الخوف وعدم بسط اليد متحدان، والجملة دلَّت على المصدر؛ أي (خوفي الله رَبَّ العالمين).

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ،[١٢] فالجملة الاسمية المتكوِّنة من المبتدأ والخبر، هي علة الهبوط، وفاعل الهبوط هو فاعل العداوة، وزمن الهبوط والعداوة واحد، وقد دلت تلك الجملة على المصدرية أي: عداوةَ بعضهم لبعضٍ.

٢. الجملة الفعلية:

من الشواهد على وقوع الجملة الفعلية في موضع مصدرٍ مبينٍ لعلة ما قبله قوله تعالى: ﴿وَلَا ....تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾،[١٣] فجملة ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ قامت مقام المفرد؛ لأنها عِلَّة دعوة المؤمنين لربهم، فإرادة وجهه هي علةُ دعواتهم له، وقد توفرت فيها الشروط اللازمة، ففاعل الدعاء هو فاعل إرادة وجه الله، وزمن الدعوة هو زمن الإرادة، فالجملة الفعلية في محل نصب مفعول لأجله.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾،[١٤] فجملة (يتزكى) في محل نصب مفعولٍ لأجله؛ لأن الزكاة هي علة إيتاء المال للمحتاجين، وفاعل إيتاء المال هو فاعل الزكاة، وزمنهما واحد

وقول كُثير:

تَيَمَّمْتُ لِهْباً أَبْتَغي العِلْمُ عِنْدَهُمْ وقَدْ رُدَّ عِلْمُ العَائِفِينَ إِلَى لِهْبِ[١٥]

فجملة (أبتغى العلم عندهم) علة تَيمُّمِهِ لأهل لهب؛ لأنها قامت مقام المفرد؛ أي ابتغاء العلم عندهم، وفاعل الفعل هو فاعل الجملة الواقعة علة لما قبلها، وزمن الفعل والجملة الواقعة مصدراً لبيان العلة واحد.

وتلك الشواهد على وقوع الجملة مفعولاً لأجله تنفي ما ذهب إليه الشيخ مصطفى الغلاييني الذي صَنَّف الجملة التعليلية من الجُمل التي ليس لها محل من الإعراب.[١٦]

٣. شبه الجملة:

ويشترط فيه تعلُّق شبه الجملة بمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله، وأن يكون المجرور اسماً جامداً، قال تعالى: إ﴿ِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه﴾ [١٧] فشبه الجملة ﴿ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ في محل نصب مفعول لأجله، وقد توفر فيه الشرطان اللازمان لذلك، فهو متعلق بمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله، وليس متعلقاً بالفعل ﴿نُطْعِمُكُمْ﴾، وقد جاء الاسم المجرور جامداً، والتقدير: (ابتغاءً لوجه الله)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّه﴾ ،[١٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾،[١٩] فشبه الجملة ﴿ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ في محل نصب مفعول لأجله.

وقال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾،[٢٠] فشبه الجملة ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ في محل نصب مفعول لأجله، وقد توفر فيه ما يشترط لذلك، فشبه الجملة في الآية الكريمة متعلق بمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله، وليس متعلق بالفعل (يجعل)، وقد ورد الاسم المجرور جامداً، وهو متعلقٌ بمصدر محذوف والتقدير: (خوفاً من الصواعق).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾،[٢١] الجار والمجرور ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ في محل نصب مفعول لأجله، وقد توفر فيه الشرطان اللازمان لذلك، فالجار والمجرور متعلقان بمصدر محذوف يقع مفعولاً لأجله، وليسا متعلقين بالفعل (تقتل)، وقد جاء المجرور جامداً، والتقدير: (خشيةً من إملاق)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [٢٢]فإن لم يتعلق شبه الجملة بالمصدر، امتنع أن يكون في موضع نصب مفعول لأجله، كقوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾، [٢٣] فالجار والمجرور ﴿لِلْأَنَامِ﴾ لا يكون في محل نصب مفعول لأجله؛ لأنه فقد شرط التعلق بالمصدر المحذوف.

ثانياً: تعدد الجملة الواقعة مفعولاً لأجله:

يجوز أن تتعدد الجملة الواقعة مفعولاً لأجله بالعطف كالمفعول لأجله المفرد، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾،[٢٤] فالجملتان ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ و﴿يرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ في محل نصب مفعول لأجله، وهما متعددتان بالعطف.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [٢٥] الجملتان ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ و﴿تُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ في موضع نصب مفعول لأجله، وهما متعددتان بالعطف.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، [٢٦] فالجمل ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ و﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ و﴿يَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ في موضع نصب مفعول لأجله، متعددات بالعطف.

ومن القليل تعدد المفعول له من غير عطف، قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، [٢٧] فشبه الجملة ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ و﴿حَذَرَ﴾ مفعول له متعدد من غيرِ عطف.

وعن أنواع المفعول لأجله وتعدده نقول:

وجملةٍ أفادت التعليلا ... نائبةٍ عن مصدرٍ بديلا
لها شروطٌ كشروط المفرد ... وقد أتت بالعطف في التعدد
ودون عطفٍ قد أتى قليلا ... فيءالذكرءءجاءءءشاهداًءدليلاً
وقد أتى من شبه جملةٍ كما ... ةرأيتَ من دليل ما تقدما
وشرطُه تعلقٌ بمصدر ... وإن أتى من غير ذاك فاحذرِ
مجروره في الذكر جاء جامدا ... دون اشتقاقٍ كان فيه وارد

تقع الجملة في موضع نصب مفعول لأجله، إذا أفادت التعليل، ويشترط لوقوعها ما يشترط في وقوع المصدر مفعولاً لأجله وهو ما ذكره النحاة ونصُّوا عليه في كتبهم، ويجوز أن تتعدد هذه الجملة بالعطف، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في موضعه، وأما التعدد من غير عطفٍ، فقد ورد بقلة في القرآن الكريم، وكنت قد ذكرت الشاهد لتلك القلة، ويأتي المفعول لأجله شبه جملة بالشرطين اللذين تم ذكرهما، وهما تعلق شبه الجملة بمصدرٍ محذوف، وأن يكون الاسم المجرور جامداً.

ثالثاً: أسلوب الشرط

ورد في القرآن الكريم أسلوب شرط يختلف عمَّا هو في الدرس النحوي، وهذا الاختلاف كان من حيث الأداةُ، والترتيبُ بين الجملتين، فمن حيث الأداة، فيجب أن يكون هذا الأسلوب مبدوءاً بأداة نفيٍ أو نَهيٍ، وبين الجملتين الحرف (حتى) الذي يفيد الغاية، ومن حيث الترتيب بين جملة الشرط والجواب، فيجب أن تتقدم جملة الجواب على جملة الشرط دائماً، وفيما يلي الشواهد على ذلك والتوضيح:

١. الشرط بالنفي والغاية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ [٢٨] فإيمان الكافرين المنكرين للرسالة ووحدانية الله □ مُتعلِّق بتفجير ينبوع من الأرض من قِبَلِ الرسول □ فشرط إيمانهم تفجير ينبوع، فجملة ﴿ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ هي الشرط، وقد جاءت متأخرةً عن جملة الجواب ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾.

وقد امتنع الجواب وهو الإيمان؛ لامتناع الشرط وهو تفجير ينبوع، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾. [٢٩]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَ بْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾،[٣٠] فتفتُّحُ أبوابِ السَّماءِ، ودخول المكذبين لآيات الله والمستكبرين عنها للجنة مُتحقِّق بتحقق وُلوجِ الجملِ في سَمِّ الخياط، فإذا ولج الجمل في سَمِّ الخياط، فُتِّحت لهم أبواب السماء، ودخلوا الجنة، فالجملة الأولى في الآية الكريمة ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ هي جملة الجواب وقد تقدَّمت على جملة الشرط ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، وقد امتنع الجواب وهو عدم تفتُّح أبواب السماء ودخول الجنة؛ لامتناع الشرط وهو ولوج الجمل في سم الخياط، والدليل على هذا الامتناع دليلٌ حالي وهو عدم قدرة الجمل على المرور من سم الخياط، وهناك دليل مقالي يؤيد ذلك الامتناع، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[٣١]

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾،[٣٢] فشرط رِضَا اليهود والنَّصَارى عن الرسول ﷺ هو أن يتَّبِعَ ملتهم، فجملة الشرط هنا ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وجملة الجواب ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾، وهذا الشرط هو امتناع لامتناع، فامتنع رِضَا اليهود والنصارى؛ لامتناع اتِّبَاع مِلَّتِهِمْ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[٣٣]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾،[٣٤]وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٣٥] فإيمان بني إسرائيل برسالة سيدنا موسى عليه السلام متحقق إذا تحققت رؤيتهم لله ﷻ جهرة، وهذا أمرٌ ممتنع الحصول، فامتنع الجواب وهو الإيمان؛ لامتناع الشرط وهو الرؤية، بدليل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.[٣٦]

وتدل تلك الشواهد على الامتناع الأبدي الذي يبقى مستمراً ولا ينقطع، فتفجير الينبوع يظل ممتنعاً إلى الأبد، ويترتب على ذلك امتناع إيمان الكافرين إلى الأبد، وامتناعُ ولوجِ الجملِ في سَمِّ الخِياط امتناعاً أبدياً، يترتب عليه امتناع تفتُّح أبواب السماء وامتناع دخول المكذبين والمستكبرين للجنة امتناعاً أبدياً، وامتناعُ اتباع مِلَّة اليهود والنصارى امتناعاً أبديا يُصاحبه امتناع رضاهم امتناعاً أبدياً، وامتناع رُؤْيَة الله جهرةً امتناعاً أبدياً يصاحبه امتناع إيمانُ بني إسرائيل امتناعاً أبدياً.

وقد يكون الشرط الامتناعي منقطعاً، أي إنَّ امتناعه ليس أَبَدِياً، بل ينقطع ويصير قابلاً للتحقق، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾، [٣٧] فالامتناع في قوله ﴿فَلَا تَحِلُّ﴾ ليس مؤَبَّداً بل ينقطع، وتصير حَلَالاً له بعد طلاقها من زوجها الثاني، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ . [٣٨]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَ﴾ ، [٣٩] فامتناع دخولهم للأرض المقدسة غيرُ مُؤبَّدٍ بل قد ينقطع ويصير متحقِّقاً، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ . [٤٠]

٢. الشرط بالنهي والغاية:

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[٤١] فشرط القرب من النساء الطهارة، فيتحقق القرب منهن بتحقق طهارتهن، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، [٤٢]وقد تقدَّمت جملة الجواب على جملة الشرط.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾، [٤٣] فبلوغ الهدي مَحِله هو شرط حلق الرؤوس، فإذا بلغ الهدي مَحِله، حلقوا رؤوسهم، وقد تقدم الجواب ﴿تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ على الشرط ﴿يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾،[٤٤] فشرط قتال المسلمين للمشركين عند المسجد الحرام هو قتال المشركين للمسلمين فيه، فيتحقق قتال المسلمين للمشركين بتحقق قتال المشركين للمؤمنين، فجملة ﴿يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ هي جملة الشرط، وجملة ﴿تُقَاتِلُوهُمْ﴾ هي جملة الجواب، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [٤٥] فنكاح المشركات يتحقق بتحقق إِيمَانِهِنَّ، فجملة ﴿يُؤْمِنَّ﴾ هي الشرط، وجملة ﴿تَنْكِحُوا﴾ هي الجواب.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾، [٤٦] فالاستئناس والسلام على أهل البيت شرط للدخول، فيتحقق الدخول بتحقق الاستئناس والسلام، وهذا الشرط الامتناعي غير أبدِيٍّ، فهو ينقطع عن الامتناع، ويصير متحقق الوقوع، فالقرب من النساء ليس ممتنعاً امتناعاً أبدِياً، بل يصير متحقق الوقوع عند تحقق الطهارة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾، [٤٧] وحلق الرؤوس يصير متحقق الوقوع – بعد أن كان ممتنع الوقوع – حين يبلغ الهديُ محله، وقتال المؤمنين للمشركين ينقطع عن الامتناع بتحقق قتال المشركين لهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[٤٨] ومن القليل ورود الشرط من دون نفي وغاية أو نهي وغاية، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ [٤٩] فنكاح سيدنا موسى عليه السلام لإحدى ابنتي سيدنا شُعيب عليه السلام مُعَلَّق بعملِهِ في أرض مدين؛ أما في وجود النفي الغاية أو النهي والغاية، فالأرجح دلالة السياق على الشرط، ومن القليل عدم دلالته على الشرط كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾.[٥٠]

ونوجز موضوع الشرط في النظم الآتي:

شرط بلا أداة شرطٍ قد أتى ... دل على تعلُّقٍ هو الجزا
جوابه يأتيك دوماً أولا ... فاعلم، وإنَّ الشرط آتٍ تاليا

والنفي سابقٌ كليهما معا وغاية توسَّطت أمرٌ دعا وبعده
وقد يكون النهي فيه سابقا الجواب آتٍ لاحقا دليلُه القرآن
والشرط يأتي لامتناع أبدا فيه وُجدا مع الدليل في
وجاء شرط الامتناع المنقطع الفصيح قد وقع يدلنا عليه حالٌ
ونادرٌ مجيؤه كما سَلَفْ قد عُرِفْ مع الشروط، في
وربما ذاك الجزاء يمتنعْ الكتاب قد وقع

يجوز أن يكون الشرط من غير أداة من أدوات الشرط، وهذا الأسلوب يتقدم فيه الجواب دائماً على الشرط، ويسبق الجوابَ والشرطَ حرف من أحرف النفي، ويتوسطهما الحرف (حتى) الذي يفيد الغاية، وهذا معنى قولي (وغاية توسطت)، ويجوز أن يسبق الجواب النهي، ولا يُغيِّر هذا من تقدم الجواب على الشرط، وينقسم الشرط قسمين: شرطاً امتناعياً مؤبَّداً، وفيه يمتنع الجواب امتناعاً أبدياً، وشرطاً امتناعياً غير مؤبَّدٍ، وهو المنقطع، وقد مر بنا هذا مفصلاً.

ومن النادر مجيء الشرط خالياً من تلك الأدوات، وهذا يكون بدليل حالي يدل عليه الكلام، وقد تقدم ذكر هذا عند الحديث عن وقوع الشرط من دون نفي وغاية أو نهي وغاية مع الاستشهاد بالقرآن الكريم، ومن القليل عدم دلالة الجملة على الجزاء مع توفر الشرط اللازم لذلك، وقد تم الاستشهاد بالقرآن الكريم؛ لبيان تلك القلة.

رابعاً: حذف أداة النداء والمنادَى معاً

يكثر الحذف في لغتنا العربية، وهو سمة من سماتها، وهو يقترن بالإيجاز الذي هو فَنٌّ من فنون البلاغة العربية، فلا يخلو درسٌ نحوي من هذه الظاهرة المرتبطة بالفصاحة.

وقد أشارت بعض كتب النحو إلى ظاهرة الحذف في باب النداء؛ ولكنَّ إشارتها اقتصرت على حذف حرف النداء مع بقاء المنادى، وحذف المنادى مع بقاء حرف النداء،[٥١] وبعضها اقتصرت في الحذف على حذف الأداة فقط دون حذف المنادى.[٥٢]

ونعرض هنا ظاهرة حذف أداة النداء والمنادى معاً جوازاً دون جملة النداء؛ لندرك فصاحة القرآن الكريم وبلاغته، حيث إن المشهور هو حذف الأداة أو حذف المنادى، قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، [٥٣] فالأداة والمنادى محذوفان جوازاً، والتقدير: (ينادونهم يأيها الذين آمنوا ألم نكن معكم)، ولم يبق سوى جملة النداء. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، [٥٤] والتقدير: (ويوم يناديهم فيقول يا أيها الذين أشركوا أين شركائي الذين كنتم تزعمون)، وقال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾[٥٥] والتقدير:: (فناداها من تحتها يا مريم ألَّا تحزني قد جعل ربُّك تحتك سرياً) فحذفت الأداة والمنادى، وبقيت جملة النداء. وقال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [٥٦] والتقدير: (وناداهما ربُّهما يا آدم ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين)، وهناك دليلان مقاليان يدلان على ذلكم الحذف الجائز: الدليل الأول نجده في الشواهد السابقة، وهو قوله تعالى: (ينادونهم، يناديهم، فناداها، وناداهما)، والدليل الثاني نجده في نصوص قرآنية أخرى تدل على ذلك الحذف، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾،[٥٧] وقال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، [٥٨] وقال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾. [٥٩]

ونوجز ما تقدم في الحديث عن حذف أداة النداء والمنادى في هذا النظم:

حذف المنادى والأداة قد ورد ... معاً جوازاً بدليل قد وُجدْ
أقول في التنزيل هذا الحذف جا ... إن قيل عنِّي ظَنَّ ذاك أو حجا

لكنَّ جملة النداءِ باقية فالزم بقاءها كما جاءت هِيَه
لأنهـا هِيَ المرادُ في النِّـدا وذكـرها في ذاك قـد تـردَّدا

يجوز حذف أداة النداء والمنادى؛ لوروده في القرآن الكريم، وقد أوردت الشواهد القرآنية التي تشير إلى وجود الحذف، وأما جملة النداء، فلا يجوز حذفها؛ لأن النداء وُضع لأجلها، وحذف هذه الجملة يتعارض مع الغرض الذي جِيءَ به من أجلها.

الخاتمة:

توصل الباحثان في ختام هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. إن استقراء اللغة لم يكن استقراءً كاملاً، وإن قواعد النحو لم تتوقف عند الذي قرره النحاة في باب المفعول لأجله وأسلوب الشرط، وأسلوب النداء.

٢. القرآن الكريم هو منبع الفصاحة والتعبير، فأسلوب الشرط الذي ورد في تلك الصورة الجميلة التي تم عرضها لدليل على أن جمال لغتنا مكمنُها كتاب الله فهو الذي تحدى مخلوقاته في التعبير، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.[٦٠]

٣. القياس على ما ورد من شواهد قرآنية وشعرية في هذه الظاهر اللغوية جائز؛ لوروده كما رأينا.

٤. فتحت هذه الدراسة المجال لدراسات أخرى من خلال التدبر في معاني القرآن الكريم، حيث إن باب الاجتهاد سيظل مفتوحاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾. [٦١]

هوامش البحث:

[١] انظر: عبد الحميد، محمد محي الدين، **شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك**، (القاهرة: دار التراث، ، ١٩٨٠م)، ج١، ص٥٧٥، وابن هشام، جمال الدين ابن عبدالله الأنصاري، **أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك**، مراجعة: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٢٠١ وما بعدها؛ وانظر: ابن هشام، جمال الدين ابن عبدالله الأنصاري، **شرح شذور الذهب**، (القاهرة: دار إحياء التراث، ، ٢٠٠١م)، ص٢٩٩ وما بعدها؛ وانظر: ابن هشام، جمال الدين ابن عبدالله الأنصاري، **شرح قطر وبل الصدى**، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت). ص٣٠٤ وما بعدها.

[٢] انظر: المرجع السابق، ج١، ص٥٧٣ وما بعدها.

[٣] انظر: حسن، عباس، **النحو الوافي**، ط٧، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج٢، ص٢٤١.

[٤] انظر: عبد الحميد، محمد محي الدين، **شرح ابن عقيل**، ج٢، ص٣٠٤ وما بعدها؛ وانظر: ابن هشام، **شرح قطر الندى وبل الصدى** ص١١٧ وما بعدها؛ وانظر: ابن هشام، جمال الدين ابن عبدالله الأنصاري، **شرح شذور الذهب** ص٤٤٢ وما بعدها، وانظر: حسن، عباس، **النحو الوافي**، ج٤، ص٤٢١ وما بعدها.

[٥] انظر: عبد الحميد، محمد محي الدين، **شرح ابن عقيل**، ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧.

[٦] انظر: حسن، عباس، **النحو الوافي**، ج٤، ص٣ وما بعدها.

[٧] انظر: عبد الحميد، محمد محي الدين، **شرح ابن عقيل**، ج١، ص٥٧٣.

[٨] انظر: عبد الحميد، محمد محي الدين، **شرح ابن عقيل**، ج١، ص٥٧٥، وابن هشام، **أوضح المسالك**، ج٢، ص٢٠١ وما بعدها.

[٩] انظر: حسن، عباس، **النحو الوافي**، ج٢، ص٢٣٧، والراجحي، عبده، **التطبيق النحوي**، ط٥، (عمان: دار المسيرة، ٢٠١٣م)، ص٢٤٠، وعيد، محمد، **النحو المصفى**، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٥م)، ص٣٥٣ وما بعدها، ونحر، هادي، **النحو التطبيقي**، ط١، (إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م)، ج١، ص٥١٥.

[١٠] سورة يونس، الآية ١٥.

[١١] سورة المائدة، الآية ٢٨.

[١٢] سورة البقرة، الآية ٣٦.

[١٣] سورة الأنعام، الآية ٥٢.

[١٤] سورة الليل، الآية ١٧-١٨.

[١٥] عباس، إحسان، **ديوان كثير عزة**، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١م)، ص٤٦٩.

[١٦] انظر: الغلاييني، مصطفى، **جامع الدروس العربية**، ط٥، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م)، ج٣، ص٢١٥.

[١٧] سورة الإنسان، الآية ٩.

[١٨] سورة البقرة، الآية ٢٧٢.

[١٩] سورة الليل، الآية ١٩-٢٠.

[٢٠] سورة البقرة، الآية ١٩.

[٢١] سورة الأنعام، الآية ١٥١.

[٢٢] سورة الإسراء، الآية ٣١.
[٢٣] سورة الرحمن، الآية ١٠.
[٢٤] سورة الزمر، الآية ٩.
[٢٥] سورة التوبة، الآية ١٠٣.
[٢٦] سورة الإسراء، الآية ٥٧.
[٢٧] سورة البقرة، الآية ١٩.
[٢٨] سورة الإسراء، الآية ٩٠.
[٢٩] سورة الإسراء، الآية ٩٣.
[٣٠] سورة الأعراف، الآية ٤٠.
[٣١] سورة الأعراف، الآية ٣٦.
[٣٢] سورة البقرة، الآية ١٢٠.
[٣٣] سورة آل عمران، الآية ٨٥.
[٣٤] سورة الأنعام، الآية ٥٦.
[٣٥] سورة البقرة، الآية ٥٥.
[٣٦] سورة النساء، الآية ١٥٣.
[٣٧] سورة البقرة، الآية ٢٣٠.
[٣٨] سورة البقرة، الآية ٢٣٠.
[٣٩] سورة المائدة، الآية ٢٢.
[٤٠] سورة المائدة، الآية ٢٢.
[٤١] سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
[٤٢] سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
[٤٣] سورة البقرة، الآية ١٩٦.
[٤٤] سورة البقرة، الآية ١٩١.
[٤٥] سورة البقرة، الآية ٢٢١.
[٤٦] سورة النور، الآية ٢٧.
[٤٧] سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
[٤٨] سورة البقرة، الآية ١٩١.
[٤٩] سورة القصص، الآية ٢٧.
[٥٠] سورة الرعد، الآية ٣١.

[٥١] انظر: ابن هشام، جمال الدين ابن عبدالله الأنصاري، **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط١، تحقيق: حنى الفاخوري، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ج١، ص٥٩٨- ٥٩٩، الغلاييني، مصطفى، **جامع الدروس العربية**، ج٣، ص ١١٥وما بعدها، حسن، عباس، **النحو الوافي**، ج٤، ص٣ وما بعدها، وعيد، محمد، **النحو المصفى**، ص٣٤٥-٣٩٦.

[٥٢] انظر: عبد الحميد، محمد محي الدين، **شرح ابن عقيل** ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧، وابن هشام، **أوضح المسالك**، ج٤، ص٧، وعبده الراجحي، **التطبيق النحوي**، ص٢٨٨.

[٥٣] سورة الحديد، الآية ١٤.

[٥٤] سورة القصص، الآية ٦٢.

[٥٥] سورة مريم، الآية ٢٤.

[٥٦] سورة الأعراف، الآية ٢٢.

[٥٧] سورة الزخرف، الآية ٧٧.

[٥٨] سورة الصافات، الآية ١٠٤ – ١٠٥.

[٥٩]. سورة الزخرف، الآية ٥١.

[٦٠] سورة الإسراء، الآية ٨٨

[٦١] سورة الإسراء، الآية ٨٥.

References المراجع

‘abd al-Ḥamid, Moḥammad Moḥiyy al-Din, *Sharaḥ Ibn ‘aqeel ‘ala ’alfiyyah ibn Mālik.*

Al-Ghalāiyyniy, Muṣṭafā, *Jāmie‘ al-Durūs al-‘arabiyyah*, 5th edt, (Beirut: Dār al-kitāb al-‘ālamiyyah, 2004

Al-Rajḥiy, ‘abdo, *al-Naḥū al-Taṭbiqiy*, 5th edt, (Amman: Dar Almesar, 2013).

‘id, Moḥammad, *al-Naḥū al-Muṣaffā*, 1st edt, (Beirut: ‘ālam al-kitāb, 2005).

Ḥassān, ‘abbās, *al-Naḥū al-Wāfiy*, 7th edt, (Cairo: Dār al-M‘ārif).

Ḥassān, ‘abbās, *Diwān Katheer ‘azzah*, (Beirut: Dār al-Thaqāfah, 1971).

Ibn Hishām, Jamāl al-Din ‘abd ullah Bin Hishām al-’anṣārī, *’awḍaḥ al-Masālek ’ilā ’alfiyyah ibn Mālik*, Taḥqiq: Yūsof al-Sheikh Moḥammed al-Baqai, (Beirut: Dār al-Fikr. 2000.

Ibn Hishām، Jamāl al-Din ‘abd ullah Bin Hishām al-Anṣārī, *Shraḥ Qaṭr al-Nadā Wa bal al-Ṣadā*, Taḥqiq: Yūsof al-Sheikh Moḥammed al-Beqai, (Beirut: Dār al-Fikr, 2001).

Ibn Hishām، Jamāl al-Din ‘abd ullah Bin Hishām al-Anṣārī, Shraḥ Shūzor al-zahab 1st edt, Taḥqiq: Yūsof al-Sheikh Moḥammed al-Baqai, (Beirut: Dār al-Fikr, 2003.

Ibn Hishām، Jamāl al-Din ‘abd ullah Bin Hishām al-Anṣārī,. *Mogniy al-Labib ‘an kutub al-’a‘arīb*, 1st edt, (Beirut: Dār al-Jeel, 1991).

Nahr, Hadi, *al-Nahū al-Taṭbīqiy*, 1st edt, (’Irbid: ‘alam al-ktab al-Ḥdeth, 2008).